مي والاخاء

قال الفيلسوف أرنست رنان عند ما زار الناصرة من أعمال فلسطين : «إن بنات الناصرة ورثن الجمال الطبيعي الفتان عن السيدة مريم العذراء التي عاشت في هذه المدينة أعواماً عديدة . ونزيد على قوله : أن الآنسة مي وليدة تلك المدينة عدا ما ورثته من جمال النفس ، وخفة الروح ، وسلامة الذوق ، وطيب القلب ، والوفاء ، قد ورثت ايضاً الهاماً يوحي اليها الافكار السامية ، والحكمة البالغة ، والمدارك الناضجة ، وقوة التعبير التي تؤثر بها على القارىء فتجتذبه الى مطالعة ما تكتب ، وتجعله يشعر بالغبطة والارتياح ، بل تجعله يتعالى الى سماء ذلك الخيال الزاهي ، ويسبح في فضاء الحكمة ، ويغذي عقله بأقوال لا تقل اذا قلنا انها السحر الحلال بعينه

وللاخاء على النابغة مي حقوق الوطنية وقد كتبنا لحضرتها رسالة نرجوها بها أن تطرف قراء الاخاء بكلمة ممتعة تنعش نفوسهم فتفضلت وهي الوفية فأرسلت لنا الرسالة الآتية التي نعتبرها مقدمة لكلمات أخرى تزين بها جيد الاخاء . قالت رفع الله بها شأن الادب والوفاء

القاهرة في ٧ ديسمبر سنة ١٩٢٤

حضرة . . . .

تأخرتُ في تقديم الشكر على رسالتك الكريمة وما حوته من رقيق العواطف ، لأني انتظرتُ في بادىء الأمر ورود النسخة من « الاخاء » المذكورة في الرسالة.

إلاّ أنّ المجلّة ضلّت السبيل ومضت إلى إدارة « المحروسة » وقُعِدَت هناك فلم أطّلع عليها

ثم أردتُ ان أرفق كتابي اليك بمقال تريده « للاخاء » . ولكنك ترى منذ تلك الأيام ونحن في « جوّ » معنوي هو أقلق ما يكون . إننا ما فتئنا نسير من اضطراب الى اضطراب ، ومن انفعال الى انفعال ، وهي حالةٌ لا يتيسر معها التفكير ولا التطلع إلى أكثر ما يمرّ بالخاطر . إني أجلُ رأي فينا نحن الشرقيين اننا الآن في طور « الفلاحة » . قد يكون هذا التعبير محسوساً أكثر مما ينبغي ، ولكني أجدهُ يتطابقُ وشعوري . إن الأحوال تعمل فينا شأن الزلزل والمحول . وكيف تثبتُ الأرض وهي قيد الحرث والتعذيب ؟ كلّ ما هو في مقدورها الآن هو الخنوع للقدَر الذي يتم عمله على الرضا منّا وعلى الكره ، وبهيّئ الأفرادَ والأمم لتقبّل البذور

أظننا في هذا الطور الخطير الوجيع بين ما ورثناهُ عنوةً من الماضي التاعس وبين هذا الحاضر الذي ينهبنا نهباً . ولا ريب أن الأحوال التي تقوم باعداد النفوس هي كذلك كفيلة بالقاء البذور فيها ، ترى تنمو فينا بذور الغد ، فتزهر وتثمر ؟

نعم ، إذا كنّا أرضاً خصيبة . وكيف لا تكون ذلك ، ولو في بعضنا ، ونحن أبناء أرض الميعاد ، وأبناء الأراضي الحانية لها ؟ وعندي أن كلّ الشرق « أرض الميعاد » . . .

أنك لترى في هذه السطور مزيجاً من الارتياب والثقة — وهل في قلب أحد منّا الآن غير ذلك المزيج المحتوم ؟

ولكن إن كنّا في طور « الفلاحة » فنحن كذلك في طور العمل . أصبحنا ونحن لا نفهم معنى وجود الخامل بيننا والمتطفل . لأننا أدركنا هذه الحقيقة الأولية : وهي أن كل قيمة المرء وكرامته ، بل ومعنى وجوده إنما تقوم أولئك جميعاً بالمجهود الذي يؤديه والعمل الذي يتممه . المجهود الاشم الذي يشرّف ، والعمل النبيل الذي يرفع ، بل هما هما كل الرفعة وكل الشرف . ولا يُستثنى منهما إلا

المريض والعاجز ليظلّ على المجتمع أن يؤاسيهما بعذوبة الرحمة الجميلة في مكانها كما انهُ يدرك وجوب تأدية المجهود الجميل في مكانهِ

أما وأنا من أنصار هذا المذهب الحيوي الذي لا قائمة لفردٍ أو لمجتمع او لشعب بدون التمشي عليه ؛ فيتيسر لك إذن ان تعلم كم أنا أقدر منك المجهود والعصامية ، وكم أتمنى لك المزيد من التوفيق في عملك — ذلك التوفيق الذي هو حقٌ مشروع لكل عامل ذكي مجاهد في سبيل الحياة

يسرني كل السرور ان أسمع ما تحدثني به عن نجاح «الاخاء» وكيف لا يؤيد هذه المجلة اخواننا — لا سيما أهل فلسطين — وهي مجلتهم ؟

واختم بخالص الشكر والسلام

«مي»

رماد الزوج

او حديث ذو شجون

رواية لهذا العصر

قبل الشروع في الرواية نقول كلمة عن الخمرة.

الخمرة تجعل الانسان صادقاً في القول ، صريحاً في التعبير ، مخلصاً في الرأي ، كما تجعله أنيس المعشر ، لطيف المحضر ، خفيف الروح . الخمرة تصنع عجائب مدهشة اذ تجعل المعيّ لسناً ، والالكن فصيحاً ، والخشن القاسي لطيفاً ظريفاً خفيفاً الخ . . . . . ولذا ترى جماعة الشاربين كعبة الشطرنج التي تتولد فيها وقائع مختلفة وتخيلات متباينة . . . . ومع كل هذا لا بد من التصريح الصريح بأنه يجب اتخاذ الحذر الشديد لدى شرب الخمرة فانها كجميع الخيرات التي أغدقتها علينا السماء اذا اسأنا استعمالها تقودنا الى الموت السريع ، ولكل شيء حد محدود اذا